الجوامع المشتركة بين الديانات السماوية

محمد السمّاك

كان محمد الذيب يرعى قطيعاً من الماعز في السفوح المطلة على البحر الميت عندما افتقد إحدى عنزاته. أخذ يبحث عنها طويلاً إلى أن اكتشف أنها وقعت في كهف منخفض، فرشقها بالحجارة حتى تعود إلى القطيع. لم يصب الحجر العنزة. ولكنه أصاب موقعاً آخر فكسره. سمع محمد الذيب صوت أواني تتكسر من جراء رمي العنزة بالحجارة، فتوجه نحوها حيث وجد مجموعةً من الجرار معظمها محطم، وكانت كل جرة تحتوي على لفائف من القماش. فتح واحدةً منها، فوجد في داخلها قطعاً جلدية عليها كتابات لا يفهمها. وهو في الأساس كان راعياً أمياً. إلا أن محمد الذيب لاحظ أنه بمجرد أن يمسك بهذه اللفائف الجلدية كانت تتفتت وتتناثر قطعاً صغيرة.

حمل محمد الذيب بعض الملفات من الجرار بمساعدة راعٍ آخر إلى إمام مسجد صغير في سوق بيت لحم. كان ذلك في فبراير 1947. اطّلع الإمام على الكتابات فقال إنها ليست عربية، ولكنه أكد أنها لا بد أن تكون قديمة جداً. ونصح الراعيين بعرضها على أحد تجار القطع الأثرية في المدينة ويدعى خليل اسكندر شاهين، الملقب بكندو، وهو من السريان. حمل كندو خمس لفائف من الجرار إلى تاجر سرياني آخر اسمه جورج شعيا الذي نقلها بدوره إلى دير مار مرقس السرياني في مدينة القدس.

في الدير، اكتشف المطران اثناسيوس أن الكتابة ليست سريانية بل عبرية. وطلب شراءها. حمل الراعيان اللفائف إلى الدير، ولكن أحد الكهنة اعترضهما

ورفض السماح لهما بدخول الدير بحجة أن اللفائف مهترئة وأن لا قيمة لها، فعادا أدراجهما. ولما علم المطران بالأمر سارع إلى الاتصال بإمام المسجد بحثاً عن الراعيين اللذين اختفت آثارهما.

بعد مرور أسبوعين فوجيء «كندو» بالراعيين يسألان عنه لاسترجاع الملفات الخمسة التي سبق أن تركاها عنده. فسألهما عن الملفات الأخرى التي احتفظا بها، فأبلغاه أنهما باعاها إلى شخص أجنبي (هو الدكتور سكنيك أستاذ الآثار في الجامعة العبرية). نقل تاجر الآثاريات الراعيين إلى المطرانية حيث استجوبهما المطران لمعرفة المكان الذي وجدا فيه الجرار، ودفع لهما ثمن اللفائف الخمس، بعد أن تبين له أن ثلاثاً منها كانت تشكل سفر **أشعيا مكتوباً باللغة الآرامية**[1].

حمل المطران المخطوطات سرّاً إلى سورية وأطلع عليها البطريرك وكان في مقره في مدينة حمص. وبالاتفاق مع البطريرك أوفد رسولاً خاصاً إلى بيروت لاستشارة الدكتور أنيس فريحة الأستاذ في الجامعة الأميركية، والخبير في الدراسات الشرقية. ويروي الأستاذ فريحة ما حدث فيقول: «كان ذلك في أوائل صيف 1948، إذ كنت في مصيفي في فالوغا عندما رنّ التلفون في يوم سبت قائظ وكان المتكلم فتاة من سكرتيرات الجامعة الأميركية تقول إن كاهناً يلح في طلب الاجتماع بك ليطلعك على مخطوط سرياني أو عبراني. قلت: إذا كان يصر على مقابلتي فوراً فليس عندي أحلى من أن يشرفني بزيارة.

ودخل صباح الإثنين مكتبي في الجامعة كاهن يحمل حقيبة أخرج منها درجاً أو طوماراً ملفوفاً بقماش أبيض وقال بلهجة المستعجل: يا أستاذ، أنا مسافر بعد ساعة من الزمن. أطلب إليك أمراً واحداً وهو أن تقول لي إذا كان هذا المخطوط عبري اللغة وإذا كان الخط قديماً. وأكون ممتنّاً لك إذا نظرت فيه وأخبرتني ولو بصورة سطحية عن محتويات هذه المخطوطة. فالتفتُّ إليه التفاتة استغراب وقلت: جميع هذه الأمور تريدها مني في ساعة من الزمن؟ فهل لك

(1) محمود العابدي: مخطوطات البحر الميت. من منشورات دائرة الثقافة والفنون، عمان، 1967.

أن تتركها برهةً عندي وأعاهدك أن تكون في مأمن ـ وهل لك أن تسمح لنا بتصويرها، وهل لك أن تبقيها ثم تعود فتأخذها بعد أن أكون قد نظرت فيها؟ قال: هذا مستحيل لأني مسافر بعد ساعة.

نظرت فيها وإذا بي أمام كتابة عبرية وقد تبينت كلمات مقتطعة هنا وهناك ولكني لم أستطع أن أقرأ فقرات طويلة. قلت: اللغة عبرية وقد تكون مخطوطة سفر من أسفار العهد القديم ويحتاج الأمر إلى وقت للمقابلة.. ولكنه انصرف دون أن يوضح لي شيئاً عن مصدر المخطوطة.. ولاحظت حرص الرجل على إبقاء أمر المخطوطة سرّاً. وعرفت بعدئذ أنها كانت مخطوطةً من مخطوطات البحر الميت. فقد ذكر بعض المراسلين أن شخصاً حمل بعض هذه المخطوطات واتجه بها إلى لبنان ليطلع عليها نفراً من ذوي الاختصاص»[1].

وهكذا بدأت قصة مخطوطات البحر الميت. فقد قامت بعد ذلك فرق من الاختصاصيين للبحث في مغاور خربة قمران، حيث عثرت على عشرات الجرار الفخارية التي تضم مجموعاتٍ كبيرةً من المخطوطات.

المخطوطات التي اكتشفت فيما بعد احتفظ بها في متحف القدس الذي سقط تحت الاحتلال الإسرائيلي في عام 1967، ومنذ ذلك الوقت انقطعت الصلة بين المخطوطات والمراجع العربية. واحتفظت بها إسرائيل وأبقت بعضها سرّاً مكتوماً حجبته حوالي ربع قرن عن العالم.

حاول علماء اختصاصيون في أوروبا والولايات المتحدة الاطلاع على المخطوطات لترجمة محتوياتها. وفي عام 1986 أبلغ مسؤول إسرائيلي المؤرخ الأميركي روبرت ايزمان والعالم البريطاني فيليب دافيس رسمياً: «لن تعيشا حتى تريا المخطوطات»[2].

---

(1) أنيس فريحة: مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران. ترجمة إبراهيم مطر، بيروت، 1957.

(2) The Economist, 26/12/1992.

ألهب هذا الموقف عطش العالمين لمعرفة مضمون المخطوطات وأسباب الحجر عليها. إتفق العالم الأميركي ايزمان (وهو يهودي) مع عالم أميركي آخر اختصاصي باللغة الآرامية، وهو البروفسور مايكل وايز ومع عددٍ آخر من الاختصاصيين لشن حملة ضغط إعلامية عالمية على الحكومة الإسرائيلية لحملها على السماح للعلماء بدراسة المخطوطات والاطّلاع على محتوياتها. نجحت العملية بعد خمس سنوات من الجهود الدبلوماسية والأكاديمية والإعلامية التي بذلتها عدة مراجع. فقد صورت إسرائيل المخطوطات وأرسلت نسخاً من الصور بواسطة الفاكس إلى الولايات المتحدة. قام العالمان ايزمان ووايز بوضع كتاب حول هذا الموضوع صدر في نهاية العام 1992 بعنوان: «الكشف عن مخطوطات البحر الميت»[1]. يؤكد الكتاب أن المعلومات التي استخرجها المؤلفان من المخطوطات ليست مهمة فقط ولكنها مذهلة بالنسبة لمؤرخي الحقبة المسيحية الأولى. فعلى الرغم من صعوبة تحديد تاريخ محدد لهذه المخطوطات فإن العلماء يعتقدون أنها كتبت خلال المائة سنة على الأكثر قبل وبعد ولادة السيد المسيح. أما مجتمع قمران، حيث عثر عليها فقد كان مجتمعاً يهودياً متطرفاً ومسلحاً؛ هو مجتمع الماكابيين الذين كانوا متمردين على الامبراطور الروماني هيرودوس وعلى الفريسيين اليهود.

لقد صدر حتى الآن أكثر من أربعة آلاف كتاب حول مخطوطات البحر الميت. إلا أن جزءًا كبيراً من هذه المخطوطات بقي خارج التداول العلمي بقرار إسرائيلي. وليس من المؤكد بعد ما إذا كانت إسرائيل قد أرسلت إلى الولايات المتحدة صوراً عن كل المخطوطات المكتوبة باللغة الآرامية. إلا أن ما وصل ـ والذي تناوله الكاتبان بالدراسة في الكتاب الذي صدر أخيراً ـ يوفر مصدراً موثوقاً وثميناً جداً لمعرفة الأفكار والتيارات الفكرية لليهودية وللروح التي قامت عليها المسيحية في القرن الأول بعد المسيح.

ومما يعطي هذا المصدر بعداً إضافياً من الأهمية التاريخية والعلمية والدينية،

(1) R. Eisenman & M. Wise: The Dead Sea Scrolls Uncovered. Element, 1992.

هو أن المعلومات المخطوطة تؤكد ما ورد في القرآن الكريم لجهة العديد من التشريعات الإلٰهية والقصص الدينية عن اليهودية وما قبلها.

فاليهودية الأرثوذكسية المعاصرة التي تنكر في الأساس المسيح والدعوة المسيحية، تجد نفسها أمام هذه المخطوطات مضطرةً للتعامل مع واقع جديد. وهو أن كثيراً من الطروحات الدينية التي جاء بها المسيح كانت تؤمن بها فرق يهودية معترف بها، قبل ظهور المسيح وبعده. وهذا يعني أن المسيح لم يأت بها من عنده، بل إن دعوته كانت استمراراً إصلاحياً لما قبلها.

أما المسيحية ـ الكاثوليكية (والأرثوذكسية) التي تعتبر أنها تمثل قطيعة كاملة مع اليهودية، فإنها تجد نفسها أيضاً مضطرة للتعامل مع واقع جديد. وهو أن المسيحية كانت حركة تواصلية مع اليهودية المعاصرة لها مطلع الدعوة، وأن المسيح جاء بأفكار مشابهة لما كانت تؤمن به فرق يهودية وفق ما تكشفه مخطوطات البحر الميت.

أما الإسلام فإنه يجد في مخطوطات البحر الميت، دليلاً إضافياً جديداً يتطابق مع ما ورد في القرآن الكريم من أنه: ﴿نزّل عليك الكتاب بالحق مصدِّقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل﴾. وهناك عشر آيات في القرآن الكريم بهذا المعنى.

أولاً ـ التشريعات الإلٰهية:

تتحدث المخطوطتان رقم 534 و 536 اللتان عثر عليهما في الكهف الرابع في قمران، عن نوح عليه السلام. ويصف النص نوحاً بأنه الصديق الأول، وأنه ولد كاملاً حتى أن الحاخامين اليهود يقولون إنه «ولد مطهراً». ويصف النص نوحاً بالحكمة وبأنه كان يعرف كل الأسرار ومنها تحديداً سر الصعود إلى السماء وملائكة السماوات العلى. وتبدو هذه الأدبيات الدينية واضحةً في الأدبيات المسيحية أيضاً، في كنيسة القدس الأولى في الأربعينات والستينات بعد المسيح (ص 34) كما تبدو واضحة أيضاً في القرآن الكريم من حيث إن تعاليم نوح عليه السلام كانت تحرم شرب الدم وتقديم القرابين للتماثيل

المؤلهة (الوثنية)، كما كانت تحرم الزنى وأكل الحيوانات المخنوقة أو النطيحة. ويستشهد الكتاب (ص 34) بالآية القرآنية: ﴿إنما حرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير الله به، فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فإن الله غفور رحيم﴾[1]. ويلاحظ الكتاب أن تشريعات نوح هذه تلزم كلّ بني الإنسان من الصديقين، وأنها ترد ثلاث مرات في إنجيل يوحنا وفي النصوص اليهودية، كما تعتبر بمثابة «تنظيم غذائي» قرآني.

يقول القرآن الكريم: ﴿كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلاّ ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون، قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾[2].

ويقول القرآن الكريم أيضاً: ﴿حُرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِلَّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكّيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلك فسق. اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون. اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم﴾[3].

وفي المخطوط رقم 251 (قمران الكهف الرابع) نقرأ ما يلي:

السطر الثاني: على الرجل أن لا يتزوج من شقيقته، أو من شقيقة والده أو من شقيقة والدته. على الرجل أن لا يتزوج

السطرالثالث: من شقيقة أخيه أو من شقيقة أخته. يجب عليه أن لا يكشف

السطر الرابع: عن عري شقيقة والده أو شقيقة والدته. ويجب أن لا تعطى

(1) سورة النحل، الآية 115.
(2) سورة آل عمران، الآيات 93 ـ 95.
(3) سورة المائدة، الآية 3.

امرأة إلى شقيق

السطر الخامس: والدها، أو إلى شقيق أمها لتكون زوجة له

السطر السادس: على الرجل أن لا يكشف عن عري... (نص ناقص)

السطر السابع: على الرجل أن لا يتزوج من ابنة... (نص ناقص)

هذه التحريمات لا يلتزم بها اليهود اليوم. فالمرأة تتزوج خالها أو عمها... إلخ. خلافاً لما نصت عليه التعاليم اليهودية الصحيحة كما تؤكدها هذه المخطوطة. وقد جاء القرآن الكريم ليؤكد هذه التحريمات بوضوح تام. فقد ورد في القرآن الكريم: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً. حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهنّ. فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جُناح عليكم، وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف. إن الله كان غفوراً رحيما﴾[1].

وفي إشارةٍ إلى الشيطان ورد في المخطوط رقم 471 (قمران ـ الكهف الرابع): إن الشيطان يوسوس للناس ويتخفى كملاك من نور ساخراً من أتباعه. إلا أن الله سيقضي بين الناس بالعدل على قاعدة من أحسن عملاً فلنفسه، ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد.

ومن الالتزامات الدينية التعبدية عدم العمل يوم السبت. وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون، ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين، ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردةً

(1) سورة النساء، الآيتان 22 و 23.

خاسئين، فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظةً للمتقين﴾[1].

وجاء في القرآن الكريم أيضاً: ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردّها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنّا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا﴾.

من أجل ذلك، وخوفاً من أن يؤدي الاعتداء في السبت ـ أي خرق حرمات الله ـ إلى لعنة الله، نرى أن مجتمع النصوص (أو عهد النصوص) كان يتميز بمحاولات التقيد الدقيقة بالتعاليم الدينية. وكان هذا الحرص الشديد على تنفيذ وصايا الله وراء تعدد الاجتهادات والتفاسير لمضمونها. وقد أدى ذلك إلى تعدد التيارات والأفكار حتى حول أبسط الأمور. ويشير الكتاب (ص 180) على سبيل المثال إلى مقارنة بين التزام يهودي وما ورد على لسان السيد المسيح (متّى 12/ 11) عندما سأل مجموعة من اليهود: لنفرض أن أحدكم لا يملك إلا شاة واحدة، وأن هذه الشاة سقطت يوم السبت في خندق، ألا يمد يده لإخراجها؟ إن الجواب هو بالتأكيد نعم. إن أي رجل لا بد أن يخرج هذه الشاة. غير أن إحدى مخطوطات البحر الميت (هالاكا) تعرض رأياً يهودياً آخر. فالسبت يوم مقدس لدرجة أنه يمكن لإنسان ما أن ينقذ إنساناً وليس شاة. ويقول المخطوط إن إنقاذ شاة هو «عمل» يحظره الكتاب المقدس، أما إنقاذ إنسان فأمر آخر.

ولعل من أكثر الأمور المثيرة التي وردت في المخطوطات قصة البقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها. من المعروف أن السورة الثانية من القرآن الكريم بعد سورة الفاتحة هي سورة البقرة. وفي المخطوطتين رقم 276 و277 (قمران ـ الكهف الرابع) تروى القصة بما يتوافق مع ما ورد في القرآن الكريم[2]:

﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، قالوا ادعُ لنا ربك يبيّن لنا ما هي قال إنه يقول إنها

(1) سورة البقرة، الآيات 63 ـ 66.

(2) راجع قصة البقرة، تفسير ابن كثير، الجزء الأول، ص 188 ـ 195، دار الأندلس، بيروت، 1966.

بقرة لا فارضٌ ولا بكرٌ عوانٌ بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون، قالوا ادعُ لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقعٌ لونها تسرُّ الناظرين. قالوا ادعُ لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون. قال إنه يقول إنها لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلَّمةٌ لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون. وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها والله مخرجٌ ما كنتم تكتمون، فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقِلون﴾.

إستناداً إلى المخطوطتين 276 و 277 فإن مراسم التطهر في تنفيذ أمر الله بذبح البقرة مثيرة للغاية. فهي تنص على أن يتولى ذبح البقرة شخص غير الكاهن. ثم يجمع ذابح البقرة مع الكاهن دم البقرة في وعاء خاص مصنوع من الطين، ولم يسبق استعماله من قبل. وبعد ذلك يغمس الكاهن أصابعه في الوعاء وينثر الدم سبع مرات حول مدخل الخيمة التي يعقد فيها الاجتماع (لاحظ الرقم سبعة الذي يتردد في مواضع كثيرة في القرآن الكريم وفي الأدبيات الإسلامية الأخرى). إثر ذلك تجمع أغصان من خشب الأرز (من لبنان) مع أعواد من حشائش الزوفان (لها رائحة زكية) ولفائف من القماش القرمزي وتوضع وسط النيران التي تحرق بها البقرة، ثم يجمع رماد البقرة المحروقة ويمزج بالماء، ويرش كماء مقدس فوق رؤوس أولئك الذين ارتكبوا أعمالاً غير طاهرة بغية تطهيرهم من الرجس. وبعد انتهاء عملية الحرق يتحتم على الكاهن وذابح البقرة وجامع رمادها أن يغتسلوا وأن يطهروا ملابسهم. ويمنع عليهم منعاً باتاً استعمال هذه الملابس بعد ذلك في أي عمل من شأنه انتهاك حرمة من حرمات الله.

ومن الأمور المثيرة أيضاً ما ورد في المخطوطة رقم 297 (قمران ـ الكهف الرابع) حول «أبناء الفجر»، وهم من المتبتلين الذين يقضون الليل في الصلاة والتعبد في محاولة منهم لفهم «**حدث الخلود**» و «**التفكير في الماضي**»، كما ورد في السطرين التاسع والعاشر من المخطوطة. وقد ورد ذكر هذه المجموعة في «وثيقة دمشق» من المخطوطات. ووردت إشارة بيّنة عنهم في

القرآن الكريم حتى أن السورة 89 سميت «سورة الفجر»: ﴿والفجر، وليال عشر، والشفع والوتر، والليل إذا يسر، هل في ذلك قَسَم لذي حجر﴾[1].

ويلاحظ الكتاب (ص 163) أهمية هذه الإشارة القرآنية. وفي الواقع فإنّ هذه السورة تقدم عبراً من الماضي (قوم عاد وثمود وفرعون الذين طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد). كما تقدم صورةً عن الخلود يوم تدك الأرض دكّاً وترجع النفس المطمئنة إلى ربها راضيةً مرضية.

وهناك إشارةٌ قرآنية أخرى لها دلالاتها. فالقرآن الكريم يقول: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾[2]. وتطلق المخطوطة عليهم اسم أبناء الحق، أو أبناء الصدق. وهم يتبعون ـ نظام «الماسكيل» ـ وهو نظام احترام التشريع والالتزام به حتى قيام المسيح ويعقوب في آخر الزمان وتفقده للأرض. وهذا النظام يعلم «أبناء النور» (أو أبناء الفجر) طريق النور وكيف يمكن أن يحشروا مع الصالحين.

ومن الأمور المثيرة كذلك موضوع «شجرة الشر» ـ طعام أهل النار ـ الذي ورد في المخطوطة رقم 458 (قمران ـ الكهف الرابع). وفي هذه المخطوطة إشارة إلى الملائكة الذين يعملون على تنفيذ العقوبات في جهنم بحق المذنبين. ويلاحظ الكتاب (ص 47) كيف أن صور الحريق وألسنة النار وعذاب الحريق ترد في القرآن الكريم بشكل مماثل، وفي عدة مواضع.

وفي الواقع فإنّ في القرآن الكريم إشارةً إلى شجرة الشر هذه، باسم شجرة الزقوم. فالقرآن الكريم يقول: ﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم، طلعها كأنه رؤوس الشياطين﴾[3]. ويقول القرآن الكريم أيضاً: ﴿إن شجرة الزقوم، طعام الأثيم، كالمهل يغلي في البطون، كغلي الحميم﴾[4]. ويقول القرآن الكريم

(1) سورة الفجر، الآيات 1 ـ 5.
(2) سورة الإسراء، الآية 78.
(3) سورة الصافات، الآيتان 63 و 64.
(4) سورة الدخان، الآيات 43 ـ 45.

كذلك: ﴿ثم إنكم أيها الضالون المكذبون، لآكلون من شجرٍ من زَقّوم، فمالئون منها البطون﴾[1].

الإسراء والمعراج والقدس

يشير المخطوط رقم 529 (قمران ـ الكهف الرابع) في السطر الرابع إلى الملاك جبريل، وتعتبر هذه الإشارة مهمة جداً في حد ذاتها لأمرين أساسيين. الأمر الأول هو أن جبريل هو الذي بَلَّغَ الرسول محمداً عليه السلام نصوص القرآن الكريم. الأمر الثاني هو أن الإشارة إلى الملاك جبريل في المخطوط رقم 529 تقع في إطار مهمة تلقين تعليمات الله ووصاياه.

يذكر الكتاب (ص 37) أن التقاليد المسيحية تشير إلى جبريل على أنه «روح القدس»، ويذكر القرآن الكريم في الآية 87 من سورة البقرة: ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾، ويقول الكتاب: مهما يقال عن جبريل فمن الثابت أنه الدليل في السماوات العلى. وهذا الأمر ينطبق أيضاً على الإيمان الإسلامي بصعود محمد عليه السلام إلى السماء، فالآية الأولى من سورة الإسراء تقول: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾.

ويذكر المخطوط رقم 227 (قمران ـ الكهف الرابع) أن «إينوخ» يصعده الله إلى السماء «ويمشي مع الله». وهذا أول صعود إلى السماء مذكور في الأدبيات الدينية. والملفت في هذا النص إشارته إلى «الصديقين» ليصبح فيما بعد جزءًا من التقليد المسيحي كما كان في التقليد اليهودي (الكباليين) ومن ثم في الإسلام (ص 96).

وفي الإسراء ينتقل جبريل أيضاً من الأرض إلى السماوات العلى. ويقول الكتاب (ص 37): إن بعض المؤمنين بهذه الرحلات الإعجازية يتحدثون عن ثلاث طبقات (بولس 12 ـ 2) وبعضهم عن سبعة (القرآن الكريم) وبعضهم عن اثنتي عشرة

(1) سورة الواقعة، الآية 51.

طبقة. ثم يعود جبريل إلى الأرض ليخبر الملائكة العاديين بما رآه.

وترد القدس في كل الأدبيات اليهودية (الكبالية) والمسيحية (بولس) والإسلامية (محمد عليه السلام). ففي الأدبيات الدينية الإسلامية يعرج بالنبي من المسجد الحرام (في مكة المكرمة) إلى المسجد الأقصى في القدس، ومن هناك يصعد إلى السماء.

وفي الأدبيات المسيحية ترد القدس في نبوءات حزقيال ودانيال. وتقول إن ملاكاً مثل روح القدس يختار حزقيال ويحمله إلى القدس في إطار رحلته السماوية (حزقيال 8/ 3). ثم يحمله ثانيةً لبناء معبد ثان (40 ـ 48). ويذكر الكتاب أن جبريل وهو في السماء يعلم بأمر بناء مدينة باسم الله.

وترد صفات الله في الأسطر من 11 إلى 13 من المخطوط رقم 529 (قمران ـ الكهف الرابع) على الشكل التالي:

السطر 11: ثم إن الله الأكبر، الإله الأبدي سوف يذكر خلقه (من أجل خيرهم) تبارك وتقدّس وتعالى

السطر 12: فالواحد الأكبر، الخالق الأبدي مصدر الرحمة. وهو مصدر. . . (نص ناقص)

السطر 13: وسيأتي رجل من مناطق نائية. . . (نص ناقص).

ويرد ذكر القدس كذلك في المخطوط رقم 462 (قمران ـ الكهف الرابع) وبشكلٍ مصدّق لما ورد في القرآن الكريم في سورة الإسراء. ويقول الكتاب (ص 268 ـ 269): إنه إذا كانت إعادة بناء الهيكل صحيحة فإن نبوءة نوح تكون قد تحققت بإخضاع إسرائيل (يعقوب) الكنعانيين للاستعباد (العمل القهري)، كما ورد في السطر الخامس من المخطوط: وهو أن (الله) أعطى أبناء كنعان عبيداً إلى يعقوب. إن الإشارة من السطر 13 إلى الأسر الثاني في مصر أو على يد المصريين، وتزامن ذلك مع سقوط القدس، يبدو أمراً مدهشاً، ولا سيما من خلال الإشارة إلى الفلسطينيين.

وترجمة هذه الأسطر هي التالية:

السطر 13: وهو (الله) الذي أعطى المدينة المقدسة إلى سكان فلسطين ومصر للإساءة إليها وتدميرها، فقد دمروا أعمدتها... (نص ناقص)

السطر 14: ذلك أنها (القدس) بدلت (ولاءها) فمجدت الشر فكان لزاماً أن تلقى عقاب آثامها... (نص ناقص)

السطر 15: لعدم اكتراثها أن تكره. وفي جمالها ومجوهراتها وملابسها... (نص ناقص)

السطر 16: وبما جنت على نفسها بيديها. ابن التدنيس الشيطاني... (نص ناقص)

السطر 17: إن كراهيتها كما كانت من قبل، أعيد بناؤها... (نص ناقص).

إن هذه الأسطر من المخطوطة رقم 462 تأتي متطابقةً مع ما ورد في القرآن الكريم: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدُنّ في الأرض مرتين ولتعلُنّ علوّاً كبيراً، فإذا جاء وعد أولاهما **بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا**. ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً. إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبّروا ما علوا تتبيراً. عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنّم للكافرين حصيرا﴾[1].

المسيح

ترد في المخطوطات عدة إشارات إلى السيد المسيح عليه السلام. ولكن عند الإشارة إلى عبارة «أدوناي» ومعناها «المولى» يتعذر أحياناً معرفة ما إذا كان الكلام عن الله أو عن «المسيح» (ص 20). فإذا كان الكلام عن المسيح فإن النص يأتي

(1) سورة الإسراء، الآيات 4 ـ 8.

متوافقاً مع ما ورد في العهد الجديد (الإنجيل). ولكن لا بد من الإشارة إلى أن الناس الذين ينقل عنهم هذا الكلام كانوا لا يشيرون إلى أي «رجل» على أنه «مولى» (ص 20). وقد وردت صفات المسيح في الآيتين 45 و 46 من سورة آل عمران: ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمةٍ منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين، ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين﴾.

وتشير الأسطر (6 ـ 7 ـ 8) والأسطر (11 ـ 12 ـ 13) من المخطوط 521 (قمران ـ الكهف الرابع) إلى معجزات خارقة من نوع تحرير المستعبدين وإعلاء شأن المنبوذين وشفاء العميان، وإحياء الموتى. لم يكن هناك شك في صحة نصوص هذه المعجزات ولكن السؤال هو من الذي كان يقوم بها: الله أو المسيح؟ (ص 20). ففي الأسطر من 6 إلى 8 تبدو الإشارة واضحة إلى الله. ولكن في الأسطر من 11 إلى 13 يقع التباس إذ يبدو ممكناً أنه حدث تحول بحيث إن الإشارة يمكن أن تكون إلى المسيح. والملفت هنا أن مؤلفي الكتاب ـ أحدهما مسيحي والآخر يهودي ـ يقرّان أنهما لم يتفقا حول تفسير حاسم وموحد لهذا الأمر (ص 20).

مع ذلك، وحتى اليوم لا يزال في أساس الطقوس الدينية اليهودية: «أنك سوف تحيي الموتى، وتشفي المرضى، وتحرر المستعبدين، وتنشر كلمة الله في أولئك الذين يعيشون في العراء» وذلك في إشارة واضحة إلى الله.

وهناك إشارة إلى معجزات المسيح عليه السلام في القرآن الكريم من نوع شفاء المرضى، وإحياء الموتى... ولكن بإذن الله.

فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآيةٍ من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرىء الأكمة والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآيةً لكم إن كنتم مؤمنين﴾[1].

(1) سورة آل عمران، الآية 49. وراجع أيضاً سورة المائدة، الآية 110.

وفي المخطوط رقم 246 (قمران ـ الكهف الرابع) نقرأ في العمود الأول ما يلي:

السطر الأول: الملك. وعندما خيم عليه الروح خرّ أمام العرش

السطر الثاني: ثم وقف دانيال وقال: أيها الملك لماذا أنت غاضب. لماذا تصر على أسنانك؟

السطر الثالث: لقد كشف الله الأكبر لك ما سيأتي. وسوف يتم ذلك حتى الأبدية

السطر الرابع: سيكون هناك عنف وشر مستطير، سيعم الظلم في الأرض

السطر الخامس: سيخوض الناس الحروب وسوف تتضاعف المعارك بين الأمم

السطر السادس: إلى أن يقوم ملك شعب الله. سيصبح ملكاً على سوريا ومصر

السطر السابع: كل الشعوب ستكون بخدمته. وسوف يصبح عظيماً على الأرض

السطر الثامن: . . . (نص ناقص) وسوف يصنع السلام وكل ما هو في مصلحته.

السطر التاسع: وسوف يدعى ابن الله الكبير. وباسم الله سوف يتم تنصيبه.

ونقرأ في العمود الثاني:

السطر الأول: سوف يدعى ابن الله. وسوف يدعونه ابن الأسمى. ومثل النجوم السيارة

السطر الثاني: التي شاهدتموها، هكذا ستكون ممالكهم. سوف يحكمون لمدة محددة من السنوات، فوق

السطر الثالث: الأرض. وسوف يسحقون كل شخص. شعوب سوف تسحق

شعوباً، وأمم سوف تسحق أمماً

السطر الرابع: حتى يقوم شعب الله ويريح الجميع من السيف

السطر الخامس: ستكون مملكته مملكة خالدة، وسيكون عادلاً في كل أعماله وسوف يحكم

السطر السادس: الأرض بعدالة وسوف يخيم السلام على الجميع. وسيقضي على السيف في الأرض.

السطر السابع: وستنحني كل أمة له، وبالنسبة للرب الأكبر وبمساعدته

السطر الثامن: سيجعل كل الشعوب طوع سيطرته. كلهم

السطر التاسع: سوف يلقي بهم إليه. حكمه سيكون حكماً أبدياً. وكل الحدود... (نص ناقص).

هذا النص يمثل ما يعتبره العهد القديم «نبوءة دانيال». المسيحية تقول إن النبوءة تحققت بالمسيح. واليهودية تقول إن المسيح لم يأت. وهناك الحركة اليهودية ـ المسيحية المعاصرة المتمثلة في «شهود يهوه» وفي بعض الكنائس الإنجيلية في الولايات المتحدة وبريطانيا وهولندا التي تقول بالعودة الثانية للمسيح إثر معركة هرمجيدون التي ينتصر فيها المسيح على الكفار ومن ثم يحكم الأرض بعدل وسلام لمدة ألف عام (الألفية) ومن ثم تقوم الساعة[1]. وفي إنجيل لوقا (20/21) ينقل العهد الجديد عن السيد المسيح نبوءته بتدمير القدس، والتي تحققت فعلاً.

إن العبارة المفتاح في النص الذي يتضمنه المخطوط 246 تكمن في وصف الملك القادم، شخص المسيح «بأن حكمه سيكون حكماً أبدياً»، وبأنه «ابن الله أو ابن الأكثر سموّاً» بينما الممالك السابقة، لأنها ممالك انتقالية لا تقارن إلا

(1) راجع محمد السماك، الصهيونية ـ المسيحية. دار النفائس، بيروت، 1992.

بالنجوم السيارة ـ الشهب. وهناك وصف خيالي للمسيح على أنه «ابن الإنسان القادم من السماء على متن الضباب» (دانيال 7/ 13). هذا الوصف الخيالي قوي في المخطوطات، حيث تقول إن الضيف السماوي يقبع في ضباب السماء وإنه يرسل أحكامه كالمطر على الإنسانية.

إن عبارات الأبوّة والبنوّة ترد في الأدبيات الدينية اليهودية: «سوف أكون أباً له (لداود)، وسوف يكون لي ابناً». و «سوف يقول لي أنت أبي، يا إلٰهي، وأنت صخرة حكمي». فالتشخيص التبسيطي واضح في مخطوطات قمران حيث ينظر إلى المؤمنين على أنهم «أبناء الله». وأكثر ما يكون التشخيص وضوحاً في الابتهالات التي يرددها «معلم الحق» أمام تلاميذه.

تسرّب منطق التشخيص بصورة مباشرة إلى الطريقة المسيحية في تقديم المسيح وأعماله (ص 69). إن المفارقة واضحة بين ما ورد في السطر الرابع من العمود الثاني، مع ما ورد في الآية 10/ 34 من إنجيل متّى: لم آت لأرسل السلام بل السيف. ويمكن ملاحظة ذلك أيضاً في العمود 16 من مخطوطة الحرب: «سيف الله الذي استعمال في الحرب ضد...» (نص ناقص).

أما القرآن الكريم فيقول: ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾[1].

وفي مخطوطة «تراتيل الفقراء» رقم 436 (قمران ـ الكهف الرابع) تأكيد على رفض الطبيعة الإلٰهية للمسيح. والفقراء (ابيونيم بالآرامية) هو الاسم الذي أطلق على المجموعة الفلسطينية التي اتبعت يوحنا في القدس. وفي القرن الرابع وصف مؤرخ الكنيسة يوسيبيوس (مطران القيصرية السابق)، هؤلاء الفلسطينيين الذين كانوا مسؤولين أساساً عن انتشار المسيحية في روما (ص 234) بأنهم علمانيون، وذلك بالمعنى المناقض للمسيحية البولسية (نسبة إلى بولس) التي ساعد يوسيبيوس على

(1) سورة آل عمران، الآية 55.

نشرها في عهد قسطنطين. فهو يخبرنا في كتابه «التاريخ الإكليركي» 3 ـ 27، أن «الابيونيم» سموا كذلك بسبب أفكارهم الوضيعة عن المسيح. ذلك أنهم لم ينظروا إلى المسيح كإله. حتى أنه يوجه إليهم نعوتاً شيطانية ويقذفهم بتهم مقذعة. ويقول عنهم إنهم اعتبروا أن المسيح ولد «بوسائل طبيعية» واعتبروا المسيح رجلاً بسيطاً وعادياً استحق التكريم بسبب سلوكه الطريق القويم. وأصروا على احترام كامل للقوانين التي كانت سائدة (أي التعاليم اليهودية)، ولم يفكروا بأن الإيمان بالمسيح يمكن أن ينقذ أحداً كما لم يؤمنوا بالحياة الآخِرة؟ لقد التزموا بالسبت وبغيره من الطقوس مثل اليهود. واعتبروا بولس خارجاً على القانون ـ اليهودي. ويمكن أن نستنتج من ذلك أمرين: الأول هو أن قلة من اليهود آمنوا بالمسيح ولم يجدوا في أيمانهم تناقضاً مع التوراة. والأمر الثاني هو أن أهل البلاد من الفلسطينيين هم الذين شكلوا حول المسيح الكنيسة الأولى في القدس.

يقول القرآن الكريم: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله، قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾[1].

من المؤكد أن «الابيونيم» ـ الفقراء ـ كانوا يشكلون مجتمعاً احتفظ في ذاكرته بتقدير كبير ليوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) واعتبروا بولس عدوّاً، عدوّاً للمسيح.

وقد ورد في القسم الثاني من المخطوطة رقم 434 (قمران ـ الكهف الرابع) ما يلي:

السطر الأول: تبارك الله لعجائبه الأبدية. تبارك اسم الله لأنه أنقذ الفقراء

السطر الثاني: لم يحتقر المساكين ولم ينس البؤساء، بل على العكس فتح

(1) سورة الصف، الآية 14.

عينيه للبؤساء ومال بأذنيه نحوهم ليسمع

السطر الثالث: صراخ الأيتام. فبرحمته الواسعة يعطف على المساكين ويفتح أعينهم للتمسك بطريقه. ويفتح آذانهم ليسمعوا

السطر الرابع: تعاليمه. ويطهر قلوبهم ويخلصهم برحمته، ويرشدهم إلى طريقه. لم يتخل عنهم في معاناتهم الكبيرة ولم

السطر الخامس: يلقِ بهم بين أيدي الطغاة، ولم يتركهم لحكم الأشرار. ولم يسقط غضبه عليهم ولم يدمرهم

السطر السادس: بغضبه. ورغم أن غضبه لم يلغ أبداً، فإنه لم يحاسبهم بعسر.

السطر السابع: ولكنه حاسبهم برحمته الواسعة. فبرحمة عينيه كان يمتحنهم وبرحمته الواسعة نقلهم من بين الشعوب (جنتيل) وأنقذهم من بين أيدي الناس

السطر الثامن: لم يحاسبهم بين الأمم المتعددة ولم يوزعهم بين الشعوب. (بل) خبأهم في ظل أجنحته،

السطر التاسع: وأنار الظلمات أمامهم، وقوّم لهم المعْوجَّ وكشف لهم الحق والسلام.

المهم أنه في هذه الترانيم الدينية ـ المخطوط رقم 436 ـ يخلص الله الابيونيم «برحمة من الله» لأنهم ساروا على طريق قلبه، كما ورد في الأسطر من خمسة إلى سبعة: «لقد أنرت قلبي ووجهت ضميري حتى لا أنسى تعاليمك. لقد فتحت عقلي وقويت عزيمتي لأتّبع طرق الحق. لقد جعلت فمي مثل السيف الحاد وأنطقت لساني على كلماتك المقدسة».

وفي السطر العاشر: «لقد انتزعت من صدري قلبي الحجري ووضعت قلباً صافياً مكانه مزيلاً كل غواية للشر».

الصفات الإلٰهية

تتضمن المخطوطة رقم 266 (قمران ـ الكهف الرابع) توجيهات دينية قريبة جداً من التوجيه الديني الإسلامي. ففي السطر الخامس يخاطب الآثمين بقوله: عودوا إلى الله صائمين باكين.

ويقول القرآن الكريم: ﴿وإذا سمعوا ما أُنزل على الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾[1].

وفي السطرين التاسع والعاشر: تباركت أنت. أنت كل شيء. كل شيء بيدك. أنت صانع كل شيء. أنت خالق كل الناس بالنسبة إلى عائلاتهم ولغاتهم.

والآيات القرآنية تقول:

ـ ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾[2].

ـ ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[3].

وفي المخطوطة رقم 418 (اللوحة 22) نقرأ ما يلي:

السطر التاسع: إن كل أبناء حواء بإرادة من الله، وبفيض من مجده، وبفضل منه ورحمة، سوف يسجدون باستمرار، كل يوم، ويمجدون اسمه.

والآية القرآنية تقول:

ـ ﴿ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[4].

---

(1) سورة المائدة، الآية 83.
(2) سورة الملك، الآية الأولى.
(3) سورة الحجرات، الآية 13.
(4) سورة الذاريات، الآية 51.

- ﴿يسبّح لله ما في السمٰوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾[1].

- ﴿يسبّح لله ما في السمٰوات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير﴾[2].

- ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾[3].

- ﴿سبّح إسم ربك الأعلى﴾[4].

وفي السطرين التاسع والعاشر من القسم السابع من هذا المخطوط (266) نقرأ: إنهم (الملائكة) يتابعون جذور المعرفة بجد واجتهاد. واستناداً إلى علمهم فإن إنساناً يتقدم على آخر بعلمه وحسب معرفته يكون احترامه.

والقرآن الكريم يقول: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[5].

ويقول أيضاً: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[6].

وفي الأسطر الأربعة الأولى من القسم التاسع من المخطوطة نقرأ:

- فتح الله أبواب رحمته... (نص ناقص) كل مسرّات جنته، وقدم الرزق لكل كائن حي. إذا تلقى الله قرضاً فإنه يسدده بسرعة وبشكل كامل. بادر أنت إلى عطائه. ذلك أن صناديق كنوزك تعود إلى من تدين له بكل شيء.

والقرآن الكريم يقول:

---

(1) سورة الصف، الآية 1؛ سورة الحديد، الآية 1؛ سورة الحشر، الآية 1.
(2) سورة التغابن، الآية 1.
(3) سورة الملك، الآية 1.
(4) سورة الأعلى، الآية 1.
(5) سورة الزمر، الآية 9.
(6) سورة فاطر، الآية 28.

ـ ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾[1].

ويقول: ﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده بصيرا﴾[2].

ويقول: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له﴾[3].

ويقول: ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله إني معكم لَإن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضلّ سواء السبيل﴾[4].

وفي الأسطر الأولى من القسم العاشر من المخطوطة نقرأ:

ـ «تذكر أنك محتاج، وأن ما تحتاج إليه لن تجده في عدم صدقك. لا تمد يدك إلى ما (حرّم الله) وإلا أحرقت. وسوف تأكل النار كل جسمك. وستنعم بالسعادة إذا طهرت نفسك. كذلك لا تغنى من رجل لا تعرفه، وإلا فإنه يزيدك فقراً».

في هذا التشابه إشارة بالغة الدلالة «إلى الكتب الثلاثة» وردت في المخطوطة رقم 536 ـ 534 (قمران ـ الكهف الرابع) والكتب الثلاثة هي التوراة والإنجيل والقرآن الكريم. ويربط النص الكتب الثلاثة بالرسول الذي ينزل عليه الكتاب الثالث (سيدنا محمد عليه السلام). والأسطر الثلاثة الأولى من هذا القسم غير مكتملة المعنى. فهي مجرد كلمات متقطعة بنواقص لا تشكل جملة مفيدة. ويبدأ المعنى بالوضوح ابتداءً من السطر الرابع حتى الحادي عشر على النحو التالي:

---

(1) سورة البقرة، الآية 212.
(2) سورة الإسراء، الآية 30.
(3) سورة البقرة، الآية 245؛ سورة الحديد، الآية 11.
(4) سورة المائدة، الآية 12.

السطر الرابع: في شبابه سيكون... (نص ناقص) كلهم... (نص ناقص) مثل رجل لا يعرف أي شيء حتى يحين الوقت عندما

السطر الخامس: يصبح عليه أن يعرف الكتب الثلاثة.

السطر السادس: عند ذلك يصبح حكيماً ويصبح متميزاً... (نص ناقص) وستأتيه الرؤيا وهو جاثٍ على ركبته يصلي.

السطر السابع: ومع والده وأجداده... (نص ناقص) الحياة، والتقدم في السن، سوف يحصل على المشورة والرحمة

السطر الثامن: وسوف يعرف أسرار الإنسانية. إن معرفته سوف تصل إلى كل الشعوب، وسوف يعرف أسرار كل الكائنات الحية

السطر التاسع: كل الخطط ضده لن تثمر، والشرعية الروحية على جميع الأحياء سوف تبقى

السطر العاشر: وكل مشاريعه سوف تنجح لأنه مختار من الله.

السطر الحادي عشر: ... (نص ناقص) مشاريعه ستبقى إلى الأبد...

من الواضح جداً أن هذه النبوءة تتعلق ببعثة النبي محمد عليه السلام وبنزول القرآن ـ الكتاب الثالث ـ وبانتشار الإسلام في العالم كله والآيات القرآنية تقول:

ـ ﴿نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل﴾ (سورة آل عمران: الآية 3).

ـ ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب﴾ (سورة المائدة: الآية 48).

ـ ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه﴾ (سورة الأنعام: الآية 92).

ـ ﴿وما كان هذا القرآن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه﴾

(سورة يونس: الآية 37).

هنا لا بد من طرح السؤال التالي: هل لمضمون هذه المخطوطات علاقة بإخفائها من قبل إسرائيل طوال الثلاثين سنة الماضية؟!

كان يمكن أن تكون هذه المخطوطات التي كتبت منذ حوالي ألفي سنة هباء منثوراً. كان يمكن أن تكون مجرد غبار في الصحراء. ولكن يبدو أن هناك حكمة من وراء الاحتفاظ بها طوال ألفي عام تقريباً. كما أنه لا بد أن تكون هناك حكمة من وراء اكتشافها بالصدفة.

ذلك أنها تشكل (بعد إنجيل برنابا الذي أجمعت الكنيسة على رفضه والذي يتضمن نصاً واضحاً بالتبشير بالإسلام وبالنبي محمد عليه السلام) أول نص تاريخي يهودي ثابت لا شك في صحته يؤكد العلاقة التكاملية بين الإسلام والمسيحية واليهودية على النحو الذي ورد في عدة سور من سور القرآن الكريم، وفي عدة آيات من آياته.

لقد تعثرت كل محاولات الحوار الإسلامي ـ المسيحي التي جرت في السابق، سواء بين الإسلام والفاتيكان، أو بين الإسلام والأرثوذكسية، أو بين الإسلام والكنائس الإنجيلية. وربما يعود أحد أهم أسباب هذا التعثر إلى خلل في معادلة الحوار نفسها. ذلك أن الحوار إما أن يكون بين طرفين يعترف أحدهما بالآخر، أو ينكر أحدهما الآخر. أما هنا فإن الإسلام يعترف بالمسيحية، والمسيحية تنكره كدين، ولذلك لم تصل مؤتمرات الحوار إلى أبعد من حدود المجاملة والتعايش.

ففي دراسة فاتيكانية عن أسس وقواعد الحوار بين الكاثوليك والإسلام (أعد الدراسة الأب جوزف كوك والأستاذ لويس غارديه) تشديد على إجراء الحوار بين الأفراد لا بين الأنظمة والمذاهب الدينية وذلك ربما لتجنب إشكالية الاعتراف. وقد جاء في هذه الدراسة[1]: «من المفيد أن نركز على هذه الناحية، إذ من الضروري أن

(1) من أجل حوار إسلامي ـ مسيحي، موقف المسيحية من الإسلام كما حدده الفاتيكان، ترجمة وإعداد د. سليم اليافي؛ زهير ماردينى، دار الجديد، بيروت، 1983.

يتم الحوار مع أشخاص أغنياء بتاريخهم، فضلاً عن كونهم متعلقين ـ مثلنا ـ ومحكومين بماضيهم، وبقواعد تفكيرهم وبطباعهم، وأمزجتهم، ولا يمكن أن يتم الحوار مع أنظمة ومذاهب فلسفية، أو مع الديانات، ولكن يجب أن يتم مع أشخاص يعيشون التجربة الإنسانية والدينية.

ومما لا شك فيه هو أن الحوار يمكن أن يتم بين العقائد، انطلاقاً من بعض نقاط الالتقاء، ولكن هذا النوع من الحوار لا معنى له، ولا فائدة ترجى منه، إلا إذا كان يستطيع مساعدة اللقاء بين الأشخاص، مع التقليل من أهمية أفكارهم، وآرائهم المسبقة، ومع إزالة العوائق التي تقف في وجه هذا الحوار».

ومع ذلك فإن الكنيسة الكاثوليكية لا ترفض أو تنكر ما هو حقيقي وخير في الأديان، ولكنها تنظر وتقدر باحترام صادق، كما جاء في الدراسة، إلى أساليب العمل والعيش، وإلى القواعد والعقائد، التي قد تختلف في بعض النقاط فيما تقرره وتتمسك به.. غير أن كل ذلك يعطينا قبساً من نور الحقيقة يضيء للناس أجمعين.

وهذا الموقف المتميز بالاحترام يجب أن لا يستند إلى الانتهازية، ولا إلى الصداقة التي يمكن أن تربطنا مع هذا، أو مع ذاك.. بل يجب أن تستند على كون الإسلام وسيلة تساعد الناس على التقرب من الذات الإلٰهية، وهي وسيلة واضحة، لهذا يجب أن نحترم عقائد الناس الذين يؤمنون أن ليست لديهم طريقة أخرى للتقرب من الله.

والديانات بالنسبة للمسيحي ليست لها قيمة دينية إلا بقدر ما تدفع وتوجه نحو تحقيق الهدف والتدبير الإلهي حيال الإنسانية.

وهذا الاتجاه نحو الكمال هو الذي يجب أن ندركه، ونشعر به في الديانة الإسلامية من خلال المؤمنين بها، إذا أردنا أن نعقد الحوار مع المسلمين في ظل احترام عقيدتهم وبدون مقاصد، وأفكار مسبقة.

* * *

بالاكتشاف الجديد في مخطوطات البحر الميت عن الإسلام وعن بعثة النبي

محمد عليه السلام، وباللغة الآرامية، ومن قلب مجتمع يهودي عايش المسيح وتلقى تعليماته مباشرة وسجلها على رقاق من الجلد، بهذا الاكتشاف تفتح صفحة جديدة من الحوار الإسلامي ـ المسيحي، بل بين الإسلام والمسيحية واليهودية ينطلق من الاعتراف المتبادل وذلك ربما لأول مرة في التاريخ الحديث.

ويقوم هذا الاعتراف على القاعدة الأولى المشتركة، وهي الدعوة الإبراهيمية.

وفي القرآن الكريم: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا **بأنا مسلمون**. يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون. ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون. **ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً** وما كان من المشركين. إن أَولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المتقين﴾[1].

ومن الملاحظات الملفتة، بل المدهشة، التطابق اللفظي بين ما ورد في القرآن الكريم وما ورد في المخطوطة رقم 252 (قمران ـ الكهف الرابع)، فالقرآن الكريم يصف إبراهيم عليه السلام بأنه «خليل الله»، بقوله: ﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم **خليلا**﴾[2]. وورد في القرآن الكريم أيضاً: ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان **صديقاً** نبيّاً﴾[3]. وفي هذه المخطوطة تستعمل نفس العبارة ـ خليل الله، وحبيب الله، والصديق، وهو ما ورد كذلك في وثيقة دمشق من المخطوطات أيضاً.

وفي لغة يوحنا (3 ـ 23) و (4 ـ 4) تستعمل نفس التعابير عن إبراهيم.

---

(1) سورة آل عمران، الآيات 64 ـ 68.

(2) سورة النساء، الآية 125.

(3) سورة مريم، الآية 41.

ويلاحظ الكتاب (ص 81) أن هذه اللغة معروفة جداً في الإسلام لأنه، أي إبراهيم، حافظ على وصايا الله (وهي لغة معروفة في رسالة يوحنا) وهي تستمر في وصف إسحاق ويعقوب بـ «أصدقاء الله» تماماً كما وصفهم محمد عليه السلام فيما بعد مع إبراهيم بأنهم أولئك الذين استسلموا. والقرآن الكريم يقول: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين، ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب: يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون، أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلٰهك وإلٰه آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحٰق إلٰهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾[1].

لقد أوجز القرآن الكريم الوحدة الدينية بقوله: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾[2].

ويقول القرآن الكريم أيضاً: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[3].

ويقول: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾[4].

(1) سورة البقرة، الآيات 130 ـ 133.
(2) سورة الشورى، الآية 13.
(3) سورة الحجرات، الآية 13.
(4) سورة المائدة، الآية 48.